في منطق النقد القواعدي

دراسة في الإطار الفلسفي لبعض أنماط الالتزام بإجراء القواعد في التفسير والتنفيذ

وائل أحمد خليل صالح الكردي

جامعة الرباط الوطني

المستخلص:

هذا البحث هو دراسة تحليلية نقدية للمذاهب الفلسفية التي تعطي مناهج عامة في فهم وتفسير أي عمل إنساني (لاسيما الفنون) اعتمادا على قواعد منطقية مطلقة، كما تعطي أدوات منطقية عامة سواء كانت تقليدية أو غير تقليدية لبناء واعادة بناء أي نسق من الافكار والاحكام في أي من المجالات . واعتمدت هذه الدراسة على نماذج اساسية هي الارسطية والماركسية والهوسيرليانية الفيتجنشتاينية وصلتها ببعض مدارس فلسفة العلم المعاصرة .

ABSTRACT

This search is a critical analytic study in philosophical doctrines which built general methods of understanding and explanation for any human activity (Arts in special) depending on general logical rules. And also put out general logical tools for restricting any system of thoughts and judgments at any field. This study had to deal with exact paradigms like ; “Aristotelianism” “Marxism” “Husserlianism” Wittgensteinism” and its relation to some contemporary doctrines in philosophy of science.

الكلمات المفتاحية :

النقد ألقواعدي : لارسطية. الماركسية ا لهوسيرليانية الفيتجنشتاينية البارادايم (النموذج المعرفي)

المقدمـة :

إن ما يتم معالجته في هذه الدراسة قد يبدو لأول وهلة موجها للمختصين في حقل الدراسات الفلسفية ممن تمثلوا مصطلحاتها ومفاهيمها التكنيكية، ولكني أراها دعوة للتفكير وللنقاش بحسبان أن فهم القائمين على أمر النقد Criticism بكافة أنواعه– لا سيما في الفنون والآداب– للأصول الفلسفية المنشئة والمفسِّرة للظواهر والمذاهب والمناهج موضوع دراستهم هو مطلب ضروري أولاً وقبل كل شيء لبناء (العقل النقدي) Critical Reason في ذاته.

كما أن الفهم لتلك الأصول الفلسفية هو ما يجد الرابط بين مناهج النقد المباشرة وبين ما أمامها من العلوم والمعارف بما يسمح بتكوين الرؤى الكونية الشاملة World views من جهة، وبتطوير مناهج النقد تلك في ذاتها من جهة أخرى.

عليه, تقوم هذه الدراسة على ثلاث محاور يمثل كل منها مستو معين من مستويات النقد القواعدي ومرحلة من مراحل تطوره:

المحور الاول – وهو المحور الأرسطي الكلاسيكي.

المحور الثاني – وهو المحور الماركسي المادي.

المحور الثالث – وهو المحور التحليلي المعاصر.

المحور الأول: قواعد منهج النقد الكلاسيكي وفق النظام الأرسطي

Aristotelian System:

يمكن القول أن التدريب القائم على استيعاب واستخدام قواعد منهج النقد الكلاسيكي وفق النظام الأرسطي يتم بالكلية على فهم محور الأساس في النظام الأرسطي، ومحور الأساس هذا هو عنصر التقسيم الثلاثي– أو بتعبير أدق – مبدأ (القسمة الثلاثية) الذي يدور حوله النظام بأكمله، بدءاً من الإطار الصوري أو الشكلي Formal Frame والذي يمثّل الجانب الفني أو التكنيكي الحاكم أو الضابط لتنفيذ وتعميم هذه القسمة الثلاثية على كافة المستويات الدلالية التي تلي المستوى الصوري أو الشكلي: وهي المستوى الأنطولوجي (أو الوجود العام)، والمستوى السلوكي الأخلاقي، ومستوى القواعد النقدية.

ومعنى (القسمة الثلاثية) أي ربط طرفين يمثلان حدوداً قاطعة لنسق واحد من خلال طرف مركزي ثالث يمثّل المحور التحكمي للنسق بأكمله.

ويمكن الكشف عن مصادر تبعية الاتجاه الكلاسيكي لمنهج (النقد القواعدي) فيما يلي:

افتراض القوالب والقواعد الفكرية العامة أو الكلية Universals الجاهزة، وتبدو في الناحية الإجرائية في التفكير.

افتراض التصنيف الفئوي Classification، وذلك في التعامل الماهوي وتحليل الشخصية للمتغيرات (الكائنات)

افتراض استقلالية نظام العلاقات Relations System بين المتغيرات عن التصنيف الفئوي للمتغيرات بصدد إصدار مجموعة الأحكام المنطقية الممكنة حال إقامة العلاقة.

افتراض مباديء أولية هي بمثابة أسس أو أصول قبلية Apriori غير مبرهنة لأنها واضحة بذاتها Self Erodent ينطلق منها أي حكم يقيني.

أما عن القسمة الثلاثية في المستوى الشكلي أو الصوري Formal Level:

وهو القائم على أمر القوانين العامة والمجردة والمطلقة للتفكير على وجه العموم أياً كان نوعه وموضوعه فيتجدد بالتقسيم إلى ثلاثة حدود أساسية هي الحدود المؤلفة للجملة أو العبارة التي تعبِّر عن قضايا (أي مضامين) معينة توضع بشكل الاستدلال (أي مقدمات يلزم عنها نتائج) (1) :

الحد الأكبر – الحد الأوسط – الحد الأصغر.

الحد الأكبر Larger Term: هو اكبر وحدة أو علامة Sign في الشكل الاستدلالي؛ أي (الجنس) الأكثر شمولاً وعمومية على الإطلاق.

الحد الأصغر Small Term: هو أصغر وحدة أو علامة Sign في الشكل الاستدلالي؛ أي (الفرد) وهو الماهية التي لا يمكن انقسامها إلى وحدة أصغر منها دون أن يخل ذلك بها أو يغيِّر شكلها.

الحد الأوسط Middle Term: وهو الوحدة أو العلامة Sign الرابطة بين الحد الكبر والحد الأصغر في الشكل الاستدلالي؛ أي (النوع) الذي يتم تصنيف (الفرد) في داخله ويميز هذا الفرد عن غيره من العناصر أو الأفراد التي تتبع معه لنفس (الجنس) موضوع الحد الأكبر.

نموذج الاستدلال:

كل إنسان فان [مقدمة كبرى لأنها تتضمن الحد الأكبر].

أرسطو إنسان [مقدمة صغرى لأنها تتضمن الحد الأصغر].

إذن، أرسطو فان [نتيجة يظهر فيها الحكم القاطع والضروري بإيجاد الصلة بين الحدين الأكبر والأصغر].

ويلاحظ أن الحد الأوسط كان قد ظهر في كلا المقدمتين واختفى في النتيجة وهذا يعطي دلالة الأهمية المنهجية والمنطقية القصوى للحد الأوسط في قانون التفكير، إذ بدون الحد الوسط لا يمكن الربط اليقيني الضروري بين الحد الأصغر والحد الأكبر في النتيجة- وكذا يصبح الحد الأوسط في أي مستوى من المستويات الدلالية هو حجر الزاوية في الفهم Understanding والتحليل Analysis والحكم Judgment والصدق Truth والكذب Falsehood، وذلك باعتباره بمثابة المركز أو المحور Center الذي يدور حوله كل العناصر الأخرى، بنحو يماثل الدائرة التي هي أكمل الأشكال على الإطلاق لدى اليونان.

كذلك إذا انتقلنا إلى :

المستوى الأنطولوجي Ontological Level &

والمستوى السلوكي- الأخلاقي (2) Behavioral- Ethical level:

فنجد أن تفسير حالة الحركة في الكون إنما يتم وفق (القسمة الثلاثية) من حد أكبر يتمثل في مفهوم أو عنصر الصورة Form التي تعطي ماهية وشكل وتصنيف الكائن على النحو الذي هو عليه، وهي في حالة الحد الأكبر (الصورة المحضة) Pure Form وهي صورة دون مادة أو دون موضوع تتشكل فيه، لذا يتم تفسيرها باعتبارها فاعلية Activity تحكمية لمنح الأشياء صورها الفعلية في العالم المادي. والحد الأصغر هو الطرف المقابل للصورة المحضة، وهو (المادة المحضة) Pure Matter وتفسَّر بكونها فاعلية سابقة على تكّون أو اكتساب الصورة، لذا لا يمكن إدراكها والتعامل معها معرفياً إلا بعد أن تكتسب صورة وعلى ذلك فهي في ذاتها ليست إلا مجرد قابلية أو محض إمكانية لظهور المادة المكتسبة للصورة، أما الحد الأوسط فهو عنصر الكائن في ماهيته المكتملة؛ أي المؤلف من (مادة وصورة) معاً، والشاهد في هذا أن كلاً من الصورة المحضة والمادة المحضة لا يمكن التعامل معهما معرفياً بالإدراك والتصنيف والتأثير والتأثر إلا بعد اجتماعهما معاً كوحدة واحدة مجسَّدة في الحد الأوسط أي العالم الذي نعيش فيه، وفي ذلك دلالة مؤكدة على أن الحد الأوسط هو حد التقييم النقدي والإجرائي بصدد أي نشاط أو عنصر أو مجال عمل. ويبدو هذا ظاهراً ومؤكداً في المستوى السلوكي- الأخلاقي، حيث تقوم الفضيلة – باعتبارها المحور الضابط والمنظِّم لحركة الإنسان على الأرض وعلاقاته بالآخرين- على كونها حداً وسطاً بين طرفين كلاهما إما إفراط أو تفريط.

بنحو ما تكون فضيلة (الكرم) حداً وسطاً بين إسراف وتقتير.

لننتهي من بعد إلى- مستوى القواعد النقدية Critical Rules Level (3) :

والذي يقوم بدوره كما جاء وفق (فن الشعر) لأرسطو طاليس من نص وعرض في مجال الدراما على وجه الخصوص من جهة تحديد عناصر البناء وتحديد المحور المركزي فيه (كحد أوسط)، والذي يقود النص ومن ثم العرض بحيث يؤدي النتيجة المرجوَّة والمؤثرة للعمل في مجمله، وتحديد هذا المحور في عناصر البناء للعمل يعتمد منهجياً على إثبات التفرقة بين العوامل الضرورية والعوامل العرضية Contingent في السياق العام للعمل.

فإذا كان تقسيم وتتابع العمل (التراجيديا لدى أرسطو طاليس) المؤثر والمحقق للغاية الأخلاقية لدى الكلاسيكية الأرسططالية وهي (التطهير) يتم وفق القسمة الثلاثية الأرسطية التقليدية في مجال الدراما وهي: (العقدة) كحد أصغر و (الحل) كحد أكبر و (الشخصية) كحد أوسط يمثل محور العمل من جهة ربط الأحداث وإظهار العقدة بأبعادها الحقيقية ومن ثم إظهار الحل بأبعاده الموازية للعقدة، إذ الأبعاد الحقيقية لكلا الطرفين لا تتضح بالشكل الكافي إلا بعد الدخول إلى الحد الأوسط المحوري (وهو الشخصية) الذي تأتلف فيه عناصر العقدة بكليتها وموجهات الحل على نحو من الضرورة. وعلى هذا إذا افتقد العمل عنصر الضرورة هذا، كان ذلك مصدراً للحل في العمل ككل، إذ أن هذه الضرورة يفرضها إحكام الحد الأوسط (الشخصية) في السياق العام مما يؤدي إلى التنبؤ الحتمي (للحل) في نهاية العمل بالالتزام المباشر مع حالة العقدة وعناصرها. ولإظهار عنصر الضرورة هذا لا بد من إجراء قياس لكافة العناصر للكشف عن العوامل العرضية، وتقييم وضعها كوسائط منهجية أو تكنيكية Technical في السياق تعمل على جعله متماسكاً ومفهوماً، ومن ثم تظهر العوامل الضرورية وإمكانية تقييمها في أخذها لوضعها الصحيح في مرحلة الوسط أو المحور (الشخصية).

وحساب العوامل العرضية يتم على أساس أن (العرضي هو ما ليس مستحيلاً وما ليس ضرورياً ؛ أي الممكن وغير الضروري).

وعلى مستوى العرض، فإن المحدد السببي لحساب العوامل العرضية والضرورية هو تحقق شرط (الانفعال الكلي) لدى كافة المتلقين على السواء وهو حجر الزاوية في تصوّر مبدأ (الحتمية) determinism في المجال الإنساني ومجال التعبير الفني. ويمكن- على مستوى العرض- تحقيق الانفعال الكلي وفق حساب العوامل العرضية الضرورية من خلال المخطط التالي:

المبررات الأولية
لتكوين الشخصية بصورة
معينة [العقدة].
(عنصر ضرورة)

إمكانية تعدد مظاهر المبررات
بما يلزم عنه إمكانية تعدد الشخصية

مستوى الحرية الفنية في
اختلاف أشكال العرض

1. اختلاف الشخصية والأدوار
2. اختلاف صياغة السيناريو
3. اختلاف مظاهر العرض
4. اختلاف العلاماتSigns

وحدة
المضمون
والدلالة
في النص
(عنصر ضرورة)

يمكن القول بأن تلك المعادلات في مجملها هي محاولة من المنهجية الكلاسيكية في التقييم للاحتفاظ بمبدأ حرية التعبير الفني– التي هي سمة لازمة للإنسان بكونه عنصراً متغيراً– في داخل إطار الضرورة المتمثلة في (التصنيف) Classification و (العلاقات) Relations (4) للعناصر والمضامين.

بالنتيجة:

الموضوع أو المضمون (العنصر الضروري العام) هو المؤدي إلى حدوث الأثر الانفعالي الأخلاقي (التطهير) في صورته الكلية الشاملة.

يتنزل حدوث أو تحقيق الأثر الانفعالي الأخلاقي (التطهير) على الحالة المشاهدة من خلال كيفية العرض الملائمة (العنصر العرضي) بما يمليه واقع تلك الحالة المشاهدة.

إن الهدف النهائي – كما يبدو– للقواعد الأرسطية هو أن يجعل الدراما [التراجيديا] علماً، فبنحو ما يفرض قانون الجاذبية نفسه على كل المتلقين للعمل التراجيدي بمدى ما يكون العمل الدرامي ملتزماً بالقواعد المحققة لذلك. هنا يمكن الإحالة نحو التطور الحديث لهذا المنظور والمتمثل في النسق الماركسي المادي والذي ربما كان تجسيدا للكلاسيكية بنحو أكثر صرامة من الأرسطي.

المحور الثاني: المحددات النقدية القواعدية للنسق الماركسي

Marxism system :

يمكن عرض المحددات النقدية القواعدية للنسق الماركسي في سبع مباديء وظيفية أساسية تمثل الإطار الفلسفي لهذا النسق– على نحو ما يلي:

المادة هي الأساس للعالم بمعنى أن كل ظاهرة حتى ولو كانت عقلية فيمكن تفسيرها بقوانين تجريبية(5).

العالم يتحرك وفق ضرورة جدلية من خلال مراحل ثلاث(6):

الموضوع Thesis

نقيض الموضوع Anti: Thesis

ثم مركب الموضوع Synthesis

الصفات العامة للعقل الاجتماعي والتطورات التاريخية المختلفة في الأنظمة الاجتماعية(7).

محرك الصراع هو (الاغتراب) Alienation (8)، وهو في الماركسية اغتراب إنتاجي بتصور إيجاد الذات لا على أنها نشاط روحي بل تطور اجتماعي يستند على سيطرة الإنسان على الطبيعة. فتاريخ الإنسانية ما هو إلا تاريخ تطور الإنسان وبالوقت ذاته تاريخ اغترابه، فالاغتراب هو محقق الانتقال التاريخي وفق قانون الضرورة والحتمية المادية. وفكرة الاغتراب عند ماركس مبنية على التمييز بين الوجود Existence والماهية Essence، فالإنسان لا روحه هو الذي يحل به الاغتراب أي وجوده لا ماهيته (جوهره) فاغتراب الإنتاجية [نظرية فائض القيمة] يصبح اغتراب العمل ومن ثم اغتراب الطبقات أو صراع طبقي، وقد وصف ماركس عملية اغتراب العمل (الفعل) بأن العمل خارجي بالقياس إلى العامل أي أنه لا ينتمي إلى كينونته الجوهرية، وهو إذن لا يؤكد ذاته في عمله بل ينكرها، ولا يحس بالرضا بل بالشقاء، ولا يطور طاقاته الذهنية والجسدية بموته بل يميت جسده ويدمر عقله، ويحس العامل مع نفسه أن عمله قسرياً لا طوعياً وإذن فالعمل لا يشبع حاجة لديه، حيث (الحاجة) هي محرك الجدل (الديالكتيك) بالنسبة للإنسان [حاجة (أطروحة سالبة)، عمل (أطروحة موجبة)، إشباع (أطروحة مركبة)]

فالاغتراب هو أن العمل يصبح في الواقع وسيلة لإشباع حاجات خارجية بالقياس إليه، ويتجلى الطابع الخارجي للعمل في حقيقة أنه ليس عمله هو بل عمل سواه، وأنه لا ينتمي إلى ذاته بل لآخر، أي أن العمل يصبح قوة مستقلة عن منتجها.

إذن من ناحية التكنيك فالحدث الدرامي في السياق الماركسي ليس هرمياً أو دائرياً وانما تصاعدياً، فالعقدة هي نقطة الصراع بين طرفي الأطروحتين المتضادتين لا يحل بإسقاط طرف وانما بالاحتواء الشامل في إطار كلي أعلى.

والتضاد غير التناقض، فالتناقض هو قول [الوجود واللاوجود في آن معاً] أما التضاد– وهو طرفي الجدل– فهو القول بالمتقابلات[الوجود–العدم ومركبهما الكون أي (يكون وجوداً) و (يكون عدماً)] (الأبيض– الأسود).. وهكذا.

كذلك يمثل المركب من طرفي الجدل هو نقطة (التطهير) المؤدية إلى الانتقال نحو مرحلة جديدة مغايرة تماماً في نقل الصراع ولكنها تخضع لذات الإجراء القواعدي الجدلي.

ويجيء ذلك متطابقاً مع الصيرورة التاريخية/ الاجتماعية(9) حيث أن صراع الفلاحين مع الإقطاعيين حول امتلاك الفعل الزراعي يؤدي إلى الثورة– التي تماثل التطهير الأرسطي– والانتقال الحتمي للصراع إلى مرحلة جديدة من الجدل بين أدوات الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فتنشأ من جديد عقدة الصراع بين العمال والرأسماليين حول امتلاك الفعل الصناعي فتحدث الثورة/ التطهير ومن ثم الانتقال التاريخي الحتمي نحو الشكل الاشتراكي.

وكما أن الفعل الأرسطي في التطهير يؤدي مع كل مرحلة إلى مزيد من اكتساب كمالات الصورة المحضة Form Pure كذلك لا يستمر التطهير الماركسي على وتيرة واحدة والى ما لا نهاية، فكما أن لكل مرحلة طبيعتها في نقل الصراع Conflict Transformation كذلك كان لا بد أن يبلغ الديالكتيك الدرامي والتاريخي في آن معاً إلى التميز والخصوصية مع كل مرحلة، إذ ينتقل الجدل من صراع لضد داخلي[فلاحين– عمال] في مقابل ضد خارجي [إقطاعيين – فلاحين] إلى شكل جديد من أشكال صراع الأضداد يمثل المركب منهما [وهو ما يوازي المرحلة الاشتراكية والتي شعارها كل حسب عمله ومجهوده] وهو الصراع الجدلي بين ضد داخلي وآخر دخلي أيضاً [إنتاج– استهلاك] أي الانتقال من كون قطبي الصارع نسقين Systems مختلفين [الإقطاعية– الرأسمالية] إلى مرحلة إيجاد الصراع لقطبين متضادين داخل نسق واحد و [الاشتراكية أو دولة العمال ذات الطبقة الواحدة] وهذا بدوره يبرر إيضاحياً شكل التطور التاريخي الإنساني نحو منتهاه لتكون الأطروحة المركبة من طرفي الجدل المتضادين في النسق الواحد هو (إشباع) كلي يماثل (المرحلة الشيوعية) والتي شعارها كل حسب حاجته، وذلك باعتبار (الأتمتة) Automation (10) التي ستلغي مبدأ الصراع أصلاً وهو (الفعل) بالنسبة للإنسان وتلغي معها كافة أشكال الدولة والإدارة والدراما.

وهذا يؤدي إلى نتيجة نهائية وهي (الخلاص)، فليس الدولة إلى مالا نهاية كما ليس العمل إلى ما لا نهاية، كما ليست الدراما إلى ما لا نهاية بل إلى خلاص مطلق، وكانت تلك نقطة الالتقاء و (هيجل).

هذا أيضاً يقرأ لدى أرسطو طاليس من وراء السطور حيث لا يمكن أن تعني سرمدية العالم سوى المعاينة الصوفية المستدامة للصورة المحضة وليس مجرد الشكل التجريبي التطوري في اكتساب الكمالات، فالمحرك الأول الذي لا يتحرك وهو الصورة المحضة إنما يحرك عالم الصورة/ المادة أو عالم الكون

والفساد بعشق وشوق لدى هذا العالم نحو المحرك وفي هذا نوع من الإرهاص بأن القواعدية الأرسطية الصارمة إنما قد تصب في خاتمتها إلى حالة من الخلاص الصوفي اللامحدد. يحق لنا بهذا أن نحدد تلك بنقطة الالتقاء بـ (أفلاطون).

كما لنا أن نراه مع أبرز أنماط النقد الإجرائي المعاصر صرامة وهو الفلسفة التحليلية, خاصة عند أهم أعلامها (لدفيش فيتجنشتاين) Ludwig Wittgenstein وذلك إشتراكا مع فينومينولوجيا Phenomenology(ادموند هوسرل) E.Husserll والذي أراد بها تحويل النقد الفلسفي إلى علم منضبط وفق قواعد إجرائية محددة.

وأهمية هذا الإتجاه هو في الدمج السياقي الضروري بين مقتضى الفن ومقتضى العلم في رؤية كلية للإشتراك الدلالي والوظيفي بينهما وذلك إتساقا مع خاصية تداخل النظم interdisciplinary التي هي سمة ومفهوم أساسي من سمات ومفاهيم الواقع المعاصر.

المحور الثالث: منهج القواعد التحليلية لدى الظاهراتية الهوسيرليانية والفيتجنشتاينية المتأخرة

Husserlian phenomenology & Later Wittgensteinian :

لنا أن نعتقد في أن ما طرحه " بيرتولد بريشت " B.Brecht في نظريته الإخراجية المسرحية كان يحمل مضموناً أيديولوجياً اشتراكياً ماركسياً، أما منهجه– وأعني به تحديداً فكرة كسر الجدار الرابع الذي أسست له الكلاسيكية الأرسطية– والذي كان " بريشت " منفذاً لذاك المضمون الأيديولوجي من خلاله، لم يكن منهجاً ماركسياً كلاسيكياً في رسمه لقواعد (الفعل) Acting و (الفهم) Understanding وانما يمكن أن نجد ذلك المنهج– بشيء من التأمل– هو أدخل إلى نتائج الاتجاه الفينومينولوجي الهوسيرلياني (نسبة إلى " أدموند هوسرل "). ومن ثم رافداً تطبيقياً– بنحو ما – من روافد منهج القواعد التحليلية لدى (لدفيش " فيتجنشتاين ") في فلسفته المتأخرة؛ خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن " بريشت " كان معاصراً . وجوداً وفكراً . لتلك المرحلة من التغيرات الفلسفية الثورية على كل من " هوسرل " و " فيتجنشتاين ". فلقد بنى " هوسرل " الاتجاه الفينومينولوجي على القول بأن أزمة الوعي الأوروبي والتي تجلت على نحو بارز في العلوم الإنسانية، قد تمثلت في حمل سمة التحيز المنهجي One sidedness في التفكير منذ بداية التاريخ الفلسفي وحتى أخريات القرن التاسع عشر. فكان إما التحيز نحو المثالية أو العقلانية Idealism/ Rationalism برهن الموضوع Object إلى العقل Reason وتأسيس الخبرة على نحو استنباطي Deductive مما من شأنه أن يؤدي آخر الأمر إلى الإغراق في التجريد، ومن ثم فقدان صفة الموضوعية Objectivity اللازمة للممارسة العلمية.

وإما التحيز نحو التجريبية أو المادية Empiricism/Materialism برهن الذات Ego بالكلية نحو الموضوع وقصر الإدراك على الطريقة الاستقرائية Inductive مما يؤدي إلى حدوث اغتراب الإنسان عن ذاته بإلغاء الخاصية الانفعالية والعناصر السايكولوجية المكملة للتكوين المعرفي العام.

لذا كان– إن جاز القول – من قبيل الضرورة التاريخية، تبعاً للثورات العلمية المعاصرة في مجال الفيزياء النظرية بصدد تصورات الرؤية الكونية World – view الجديدة للعالم وفق نظريتي النسبية وميكانيكا الكم أن يأتي الفيلسوف والمنطقي الألماني (إدموند هوسرل) بصياغة فكرة الظاهريات Phenomenology كعلم شعوري خالص لا تجريبي ولا صوري(11), وذلك من أجل تحقيق وحدة الوعي الأوروبي وإعادة تأسيس نظرية العلم Theory of Science. إذ استطاعت الظاهريات شق طريق ثالث

بين المنطق الصوري Formal Logic الذي يمثل القوالب الكلية العامة (المذهب المثالي) وبين علم النفس التجريبي Experimental الذي يعتقد في معارف كلية Universals قبلية Apriori، وكان هذا الطريق الثالث هو طريق (الشعور). وذلك من خلال منهج مؤلف من خطوات ثلاث تبدأ (بتعليق الحكم) Epoch (12) لإبعاد الواقع المادي، وهو يعني وضع العالم بين قوسين وإخراجه عن دائرة الاهتمام وعدم الحديث عن الظاهرة المادية بإزاحتها جانباً وعدم إصدار حكم عليها وذلك بهدف القضاء على الاتجاه الطبيعي بكل مظاهره المادية والنفسية والوضعية والأنثربولوجية والبايولوجية، فهي بهذا تعد ظاهرة متعالية Transcendental، أي خارج الإدراك، ولا تصبح ذات دلالة إلا بعد حلولها في الشعور كتجربة حية Transcendence وعدم رؤية الظواهر في المكان بل رؤيتها في الزمان الذي هو صفة الشعور الداخلي. وثاني خطوات هذا المنهج الفينومينولوجي هي (البناء) أو (التكوين) (13) وهي المرحلة التي يظهر فيها الشعور كقصد متبادل مكون من قالب Noes يمثل الجانب النظري أو العقل في الأنا الخالصة Transcendental Ego، ومضمون Noeme يمثل الموضوع. هذا ويتميز الشعور عند هوسرل بأنه (يتجه نحو) أو (يمتد نحو) فكل وعي هو وعي بشيء ما، وهذا ما يعرف بمبدأ (قصدية الوعي). وعلى هذا الأساس يمكن وصف . إن جاز ذلك . تقرير هوسرل أن الشعور هو ذات وموضوع معاً بأنه خطوة موفقة بصدد حل المسالة الأساسية في الفلسفة (وهي العلاقة بين الوجود Being والوعي Consciousness). أما الخطوة الأخيرة فهي (منهج الإيضاح) (14) ويمثل الصلة بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا، ويتعلق بفحص الوسائط الاتصالية الناقلة لحالة الوعي المؤلف من قالب الشعور ومضمون الشعور وإخراجه إلى حيز الرؤية عن طريق التوضيح والكشف والشرح. وخلاصة ذلك ما قاله أدموند هوسرل:" إن الوعي هو دائماً وعي بشيء ما. فالوعي في طبيعته يتضمن مفاهيم نحو: أحوال الوجود، التمثلات، الاحتمالات، اللاوجود، وكذلك يتضمن أحوال الظواهر، الخيرية، وما إلى ذلك. إن التجربة أو الخبرة الفينومينولوجية Phenomenological Experience باعتبارها انعكاساً Reflection ينبغي أن تتجنب أي بناءات تفسيرية Interpretive Constructions، فهي باعتبارها عملية توصيفية ينبغي أن تعكس بدقة المحتويات المحددة للخبرة بالضبط كما تم اختيارها.

وتفسير الوعي بأنه مركب من معطيات حسية Sense data ومن ثم يكون وضع الأنواع الجشتالية Gestaltqualitatien خارج المحصلة الكلية هو تفسير يتضمن خطأ أساسياً وفق المنظور الكوني والمنظور السيكولوجي وأكثر من ذلك وفق وجهة النظر الترانسندنتالية. صحيح أنه في عملية التحليل الفينومينولوجي تحدث المعطيات الحسية أثراً، وأن الأشياء في الواقع تفصح عن ذاتها، لكن ما يعجز التحليل الفينومينولوجي عن إيجاده في البدء هو إدراك العالم الخارجي، فالوصف الأمين للمعطيات غير الزائفة للخبرة يجب أن تكشف أولاً وقبل كل شيء عما يبدو ويتمثل أي الكوجيتو Cogito، ومثال ذلك ما يتوجب علينا إعطاؤه من وصف محكم لإدراكنا لأحد المنازل في حدود ما يعنيه كموضوع Object وأحواله الظهورية Modes of Consciousness. ويقاس على ذلك ما ينطبق على كل أشكال الوعي Forms of Consciousness (15).

إن هذه المحاولة التي أقامها " أدموند هوسرل " بكسر الجدار القائم بين البناء المثالي العقلاني الأرسطي والبناء التجريبي المادي الماركسي، هي بنحو ما تماثل كسر الجدار الرابع بين (العرض) و (المتلقي) لدى " بريشت " في منهجه الإخراجي المسرحي. فإذا كانت الأرسطية _ من قبل . قد صادرت على وعي

المتلقي لحساب العرض ليكون كل المتلقين بذلك عقلاً ووعياً واحداً ذا بعد واحد لمضمون العرض؛ مما يجعل إجراء (التطهير) نسبة للاستشارة الجماعية لمشاعر الخوف والشفقة حدثاً أقرب إلى الحتمية العلمية الفيزيائية، وإذا كانت الماركسية في الطرف المقابل قد أدخلت العرض إلى وعي الجمهور لحساب القاعدة المجتمعية المشتركة والتي اعتمدت الشكل البنائي Structuralism المطلق في اعتبار الإنسان عنصراً غير محرك من تلقاء ذاته للتاريخانية الاجتماعية إلا بحتمية تاريخية خارجة عنه ومفروضة عليه لتجعل الوعي في المحصلة النهائية إن هو إلا وعي مجتمعي مصبوب في قوالب ذهنية وإدراكية ثابتة وموحدة لدى كافة الأفراد، فإذن كانت محاولة " بريشت " هي نقطة الالتقاء المنهجية الفينومينولوجية بين أولئك الطرفين؛ فالأمر مع " بريشت " يبدو أن لا مصادرة لوعي الأفراد لحساب العرض وأن لا مصادرة للعرض لحساب الوعي المجتمعي التاريخي للأفراد بل هو اشتراك وتفاعل حي متبادل بين وعي قصدي intentional Consciousness وبين مضمون لذاك الوعي يعطي نفسه له وفق زاوية معينة للانتباه تعطي خصوصية فردانية للمتلقي من جانب كما تعطي عنصراً موضوعياً لحقيقة كلية واحدة من جانب آخر في آن معاً، وهذا أمر تكفل " فتجنشتاين " بإيضاحه بمقولته عن (دالة صورة العالم) World Picture Function (16)، وهي المقولة التي فتحتها محاولة " هوسرل " الظاهراتية نحو محاولات منهجية أكثر تطوراً على مستويات مختلفة لبناء الرؤى الكونية الشاملة World- views من خلال عنصر أو منهج (التحليل) Analysis وكان ذلك جراء إسقاط عملية التركيب باعتباره بناء يخضع لا محالة للتصنيفات المذهبية التي لا تحقق الواحدة منها بمعزل عن الأخرى رؤية كونية شاملة تعتمد على استقراء محايد لمجالات الحقائق العلمية ومستوياتها، الأمر الذي انتهى بظهور التيار الفلسفي الذي أسسه فيتجنيشتاين في كمبريدج Cambridge وامتد إلى أكسفورد Oxford وهو التيار القاضي في جوهره إلى إحداث الفهم والتأثير بإزالة الحاجز بين الوعي Consciousness والموضوع Object ونفاذ العقل Mind إلى استيعاب العقل الآخر Other Mind الذي يتمثل في الكتل والكيانات الاجتماعية المختلفة (16).

وتجدر الإشارة بأن فكرة (دالة صورة العالم) هي ما استند عليه أهم فلاسفة العلم في الراهن المعاصر كمبدأ منطقي يعمل على تحديد التصورات العلمية Scientific Concepts التي تنتجها النظريات العلمية Scientific Theories والمقولات العلمية Scientific Categories التي ينتجها منهج الإجراء العلمي Scientific Process Method مثل قضية الدور الفاعل للوعي العلمي في مراحل الملاحظة وخلق التجربة والاستدلال والكشف.

ومن هذا ما ذهب إليه " هانسون " R.N. Hanson فيما يعرف بالاتجاه الإمبريقي الرياضي الذي قدمه في كتابه (نماذج الاكتشاف) Patterns of Discovery حيث تصور أن هنالك جوانب متعددة للملاحظة العلمية Scientific Observation في حد ذاتها، ويمكن حلها عن طريق الأشكال الجشتالتية Gechtalt بالإضافة إلى الرياضيات، وذلك التصور يضفي بعداً جديداً على تفسير الملاحظة العلمية بصورة تخضع الملاحظة ذاتها للعمليات الرياضية، وعلى هذا الأساس يرى "هانسون" أن الملاحظين لا يريان الشيء ذاته وهما أيضاً لا يبدآن من المعطيات عينها ولا ينتهيان إلى النتيجة نفسها مع أنهما على وعي تام بشيء واحد، ومن هذا المنطلق يمكن تصور وجود أكثر من معنى واحد للملاحظة، حيث هناك معنيان لكلمة يشاهد، المعنى الأول هو ما عرف منذ بداية العصر الحديث بالمعنى الموضوعي Objective الذي يعني تركيز الانتباه على كل جوانب الظاهرة وتمييز أوجه الاتفاق والاختلاف فيها

وتمييز عناصرها بدقة والعناية بتدوين التفاصيل المشاهدة فحسب دون تدخل الذات في عملية الملاحظة ذاتها، والمشاهدة بهذا المعنى يطلق عليها "هانسون" المشاهدة المحايدة Neutral حيث يرى العلماء بمقتضى هذا المعنى الشيء نفسه، أما المعنى الثاني فبموجبه لا يشاهد العلماء الشيء نفسه فهم يشاهدون الظواهر الخارجية من خلال الذات، حيث نجد العلماء يفرغون تأويلاتهم الداخلية والخاصة على الأشياء، فكان المعنى الموضوعي هو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح (التفسير) أما المعنى الثاني فيمكن أن نطلق عليه مصطلح (التأويل) ووفق هذا المعنى الثاني فقط نستطيع التوصل لمعطيات عالمية يتم بناء عليها تركيب نظريات علمية جديدة.

وفي هذا الصدد أيضاً وضع "توماس كون" Thomas Kuhn أحد كبار الأساتذة بجامعة هارفارد Harvard مؤلفه الشهير (بنية الثورات العلمية)The Structure of Scientific Revolution الذي دارت حوله الدراسات في السنوات الماضية ولا تزال. وقد صدر هذا الكتاب عن جامعة شيكاغو Chicago في العام 1966م وعلى وجه التحديد في (الموسوعة العالمية للعلم الموحد). هذا، وينظر إلى " كون " أحياناً أنه الممثل الرئيسي لحركة الربط التام بين تاريخ العلم وفلسفة العلم من خلال المثيودولوجيا Methodology. وهذا الاتجاه رغم أنه متوقع منذ صدور مؤلف "كارل بوبر" K. Popper (منطق الكشف العلمي)The Logic of Scientific Discovery، إلا أن " كون " كان هو من حقق الربط التام بين هذه الجوانب الثلاث في كتابه (بنية الثورات العلمية)، الذي وصف فيه ما يحدث داخل العلم بأن العلماء خلال الثورات العلمية يشاهدون أشياء جديدة ومختلفة حين ينظرون بالآلات المألوفة من الأماكن عينها التي نظروا منها قبل، والسبب في ذلك أن تغيرات (النموذج) Paradigm تجعل العلماء فعلاً يشاهدون عالم أبحاثهم الخاصة بطريقة مختلفة تماماً عن ذلك العالم الذي كانوا ينتمون إليه من قبل (17).

إن هذه العبارة تلخص مضمون ما يريد كون أن يذهب إليه، فهي من جانب تشير صراحة إلى أن رؤيتنا للأشياء تختلف، أو هي تتغيّر، حيث نكتشف علاقات جديدة بين الأشياء لم نكن نألفها من قبل. ومن جانب آخر فإن هذه الرؤية الجديدة والمختلفة لا تكون إلا من خلال نموذج جديد New Paradigm يجعل العالم Scientist يفسِّر الأشياء . التي سبق أن شاهدها وفسَّرها تفسيراً معيناً . تفسيراً جديداً مخالفاً لذلك التفسير الذي كان يتبنَّاه فيما مضى وفق النموذج القديم، ولذا فإن قضية التفسير هنا مرتبطة أشد الارتباط بالإدراك، ولا تكون الرؤية الجديدة للأشياء كذلك إلا من خلال نموذج جديد بديل للنموذج القائم فعلاً. ومن جانب ثالث، فإن فكرة النموذج المطروحة في كتاب " كون " تشير بوضوح شديد إلى أن العلم قبل أن يحدث التغيير Change مختلف عنه بعد التغيير، والسبب في هذا أن علم ما قبل التغيير هو ما يطلق عليه (العلم الشاذ) Extra- Ordinary Science أو (العلم الثوري) Revolutionary Science. هذا، ويتصور " كون " أن العلم في فترة من الفترات يحقق ارتباطاً كلياً بين نظرياته المختلفة، بمعنى أن هذه النظريات تؤلف كلاً متماسكاً هو ما نطلق عليه مصطلح النموذج. والعلماء في هذه الفترة يسيرون في أبحاثهم العلمية وفق هذا لنموذج العلمي المعمول به فعلاً، فتتغيَّر نظريات العلماء المعمول بها في ظل النموذج السائد، لتحل مكانها نظريات جديدة ترتبت على الكشف الجديد، ويبدأ العلم مسيرته مرة أخرى وفق أفكار وآراء جديدة من خلال نموذج جديد مخالف تماماً للنموذج الذي ألَّفه العلماء فيما مضى، والعلم في الفترة التي يسود فيها النموذج القديم هو ما يطلق عليه كون العلم السوي. أما العلم الذي

توصَّلنا إليه بعد الكشف العلمي فهو العلم الثوري أو الشاذ، وهو ثوري أو شاذ لأنه خرج على المتعارف عليه في ضوء النموذج السائد. وتجدر الإشارة إلى أن كون ربط فكرة النموذج بالجوانب الميتافيزيقية في أكثر من موضع، وهذا ما تشير إليه نصوصه المختلفة، وبدأ يشير إلى أهمية بحث الجانب الميتافيزيائي، ويتمثل هذا فيما يلي من الأفكار (18):

الربط بين فكرة النموذج والاعتقاد. إذ لا يمكن لأي جماعة علمية أن تمارس عملها بدون أن تكون لديها مجموعة معينة من الاعتقادات، وهذا يعني أن العلماء يضعون في اعتبارهم أفكار النموذج المسبقة، كما أن اعتقادهم في نظريات وآراء معينة يوجه عملهم ونشاطهم العلمي أثناء الممارسة العلمية ذاتها.

الربط بين فكرة النموذج والأسطورة. حيث يؤكد (كون) أنه إذا كانت الاعتقادات القديمة، يمكن أن نطلق عليها أساطير؛ إذن فإنه يمكن أن تنتج الأساطير بالمناهج نفسها وتؤدي إلى الأسباب ذاتها التي تفضي إلى المعرفة العلمية في عالم اليوم. ومن ناحية أخرى، فإنه إذا كان من الممكن أن تسمي علماً، إذن فالعلم يتضمن معتقدات غير متسقة مع ما نعلمه اليوم. فالنظريات القديمة، ليست غير علمية من حيث المبدأ، وإنما هي نظريات غنية بالأفكار والآراء التي تطلعنا على الكثير.

وفي موضع ثالث، يربط (كون) بين النموذج والتأملات الميتافيزيائية الناجحة. ففي المراحل الأولى لتطور أي علم فإن الأشخاص المختلفين يواجهون مجال الظواهر نفسه . ولكن ليس الظواهر الخاصة، نفسها . وهم يصنفونها ويؤولونها بطرق مختلفة، وما هو مدهش وفريد بالنسبة لما نطلق عليه علم هو أن الاختلافات المؤقتة، لا بد وأن تختفي ... ولكي نقبل نموذجاً معيناً فلا بد أن تبدو النظرية أفضل من منافساتها، والنظرية هنا لا تحتاج إلى تفسير كل الوقائع التي تواجهها. وكما تتغير المشكلات، كذلك تتغير المقاييس التي تميز الحل العلمي الحقيقي من مجرد التأمل الميتافيزيائي أو اللعبة الرياضية ".

النموذج مبدأ منظم يحكم عملية الإدراك. فإذا قمنا بعملية مسح للتجارب الغزيرة في التراث والتي استمدت منها هذه الأمثلة، فإن المرء سوف يتبيَّن على الفور أن النموذج مبدأ منظماً يحكم عملية الإدراك، ولهذا فإن النماذج تحدد لنا قطاعات واسعة من الخبرة .

من هذا يتضح أن العمل المتواصل للعلماء تحكمه مجموعة من الاعتقادات التي يؤمن بها هؤلاء، ذلك أن " كون " يضع في اعتباره فكرة المجتمع العلمي الذي يعد بمثابة الإطار المنظم لنشاط العلماء ومجمع أبحاثهم.

وهذا المجتمع يترك العنان لكل عالم لكي يفكر فيما يريد، ويكتب ما يريد في الوقت الذي يريد وفقاً لما يعتقد. وبطبيعة الحال فإن اعتقادات العلماء أو المكونات الماورائية في بنية تفكيرهم متباينة، أشد التباين، وهذا ينعكس على اهتماماتهم، فمنهم من يلعب دوراً بارزاً في تشكيل مكوناته العقلية أو من تكون له اهتمامات بالبيولوجيا مثلاً وهو في الأصل رياضي، وهكذا نجد أن نشاط العلماء يحكم عنصر التباين والاختلاف، وهم بطبيعة لحال أيضاً يتبادلون الآراء فتلتقي فكرة من هنا مع فكرة من هناك لتؤلف فكرة جديدة لم تخطر على بال صاحبها أصلاً. ولكن من الجانب الآخر فإن كون يرى أن اعتقادات العلماء أسطورية المصدر، وأنها صدرت عن الأساطير، فلكل منا خبرته الخاصة، من الروايات والأساطير الخرافية، التي استمع إليها في طفولته، وهذه الأساطير تظل في الوجدان مهما كانت خرافية، ومن ثم تلعب دوراً حيوياً في تشكيل اعتقاداتنا. ولهذا السبب فإننا حين نرى الأشياء في العالم الخارجي إنما نراها وفق رغبتنا واعتقادنا، وهذا ما يفسِّر لنا سر الاختلاف بين شخص وآخر في تفسير ظاهرة تعرض عليهما؛

فنحن حين نشاهد الظاهرة ونحاول تفسيرها إنما نطلق العنان لعقلنا لكي يجول في خلفياتنا العلمية، لينتهي إلى تفسير معيَّن. وتظل هذه النظرة تحكمنا حتى يأتي كشف علمي جديد فتنقلب الأمور رأساً على عقب ويبدد ما كنا نعتقده؛ ويستحدث النموذج الجديد الذي في إطاره إذا ما نظرنا إلى الأشياء مرة أخرى من المواضع نفسها التي ألفنا النظر منها فيما مضى، وجدنا أن الأشياء بدت لنا مختلفة لأننا أصبحنا نؤمن أو نعتقد بمبدأ جديد يحدد إدراكنا لما نراه، فكان النموذج بهذا المعنى يفرض علينا رؤية معنية للأشياء ويحدد لنا نطاق الخبرة.

وهكذا، وجد فلاسفة العلم تطبيقاً للتحذير الذي أورده (فتجنشتاين)– من أن الكثير جداً من وظائف اللغة يمكن تجاهلها إذا اعتمدت اللغة ببساطة بوصفها حساباً Calculus باكتشاف وظائف لقوانين علمية لا يمكن النظر إليها فقط في حدود صورها المنطقية. وقد سقنا هذه الشواهد من الفكر العلمي لتوثيق الصلة أولاً بين متغيرات ومجريات المناهج الدرامية وبين التصورات التفسيرية للعالم، وثانياً لإيضاح أن مضمون الحتمية الديالكتيكية التاريخية الاشتراكي لدى " بريشت " قد تم أدائه بصورة إبداعية متفوقة من خلال منهج مينومينولوجي محقق للوعي التفاعلي الثوري بتلك الديالكتيكية التاريخية من جانب الإنسان الفرد عبر عرض ومتلقّي بكل ما لدى هذا المتلقّي من مقومات وعناصر النموذج المعرفي والرؤية الشاملة كما لدى العلماء. فبكسر الجدار الرابع يحقق "بريشت" المبدأ المعرفي الفينومينولوجي بأن إدراكنا للظاهرة ليست إدراكاً نظرياً عبر وسيط حاجز يمتد من طرف موجب (عرض) لينتهي لدى طرف سالب (متلقّي)، بل هو إدراك متفاعل ومباشر بين الطرفين على قدم سواء في تجربة معايشة واحدة، فإدراكنا للظواهر هو معايشة بيننا وبينها تجعل إدراكنا هذا جزءاً من ماهية الظاهرة في لحظة الإدراك وفي ذات الآن الذي تمثل فيه الظاهرة المدركة لنا جزءاً من ماهيتنا.

ويتجلى هذا المعنى بصورة كبيرة لدى فلسفة (فتجنشتاين) المتأخرة بصدد تفسير حالة الوسيط الاتصالي الناقل للعلامات Sign والتي ليس الهدف منها فقط تفسير الظواهر وإبلاغ معلومات Data بقدر ما تهدف إلى إيجاد آليات لفهم ما يعرف بـ (العقول الأخرى) Other Minds من خلال قواعد للحكم ليس بالصدق True أو الكذب False وإنما للحكم (بالفهم) و (التأثير). ونخلص في هذا إلى ما يلي من قواعد (19):

أولاً: ليس هنالك حد لتنوع الاستخدامات للكلمات، فاللغة إنما هي صندوق للأدوات Toole Box، فكما أن هنالك عدد غير محصور من إمكانيات الاستخدام للعديد من الأدوات التي في الصندوق مثل المطرقة والسكين والفأس والمقابض .. الخ، كذلك هنالك عدد غير محصور من أنواع الجمل Sentences والكلمات Words والرموز Symbols لديها عدد غير محصور من كيفيات الاستخدام المختلفة.

ثانياً: أن تصور لغة يعني تصور طريقة في الحياة Way of life. ويدل ذلك على أن رصد قواعد الاستخدام للعلامات Signs يتم من داخل سياقات الاستخدام للغة لدى فئة أو دائرة اجتماعية معينة لها طريقتها المميزة في الحياة. حيث أن استخدامنا للغة هو كما استخدامنا لأي جزء آخر في تاريخنا الطبيعي مثل المشي والأكل والشرب واللعب .. الخ. إذن فمعنى الكلمة تواضعياً Conventionally ليس هو مقابلتها مع مسميات وحقائق ثابتة في الواقع الخارجي وإنما معنى الكلمة هو كيفية استخدامها في اللغة، حتى وإن كان يحوي ذلك الاستخدام خطأ في عرف النحو اللغوي العام. إلا أن هذا الخطأ إن كان أصيلاً

في التعبير عن طريقة في الحياة باستخدامها اللغة بكيفية معيَّنة، فإنه يصبح كما يمكن لنا أن نحسب مطلوباً دراميا يمثل عنصراً ضرورياً للحبكة الإخراجية للعمل المؤثر على مستوى النص والعرض.

ثالثاً: إن حل المشكلات على مستوى الفكر وكما تتجلى من مضمون البناء الأدبي والدرامي . لا يكون بإعطاء معلومات جديدة، وإنما بترتيب ما هو معروف لدينا دائماً.

فكل ما في الأمر أن اللغة تفسّر على نحو اللغة ذات القواعد، وأن هنالك أمثلة متضادة Contrarily Examples لألعاب لغوية مختلفة Different language– games فهذه الأمثلة تُمنح اسماً تكنيكياً يعرف بـ " حالة النموذج " Paradigm Case على نحو ما أوضحها " توماس كون " وهي المنشئة للتفسير القواعدي لكيفيات الاستخدام اللغوي والاتصالي.

رابعاً: إن الأنماط المتغايرة واللا محصورة للألعاب اللغوية ليست ذات طابع فرداني مطلق بحيث يجعلها معزولة على الحقيقة الكلية الشاملة لدى كافة البشر، فقد اصطلح " فتجنشتاين " على حد منهجي تفسيري أسماه بـ (صورة العائلة) Form of Family أو (المشابهات العائلية) Family Resemblances، وربط ذلك المصطلح بالفعل (يعرف) To Know فنجد أن ليس لديه معنى مفرد أي بمعنى أنه يقوم أو يصطلح لشيء مفرد، وليس لديه كذلك تعدد لمعاني لا علاقة بينها، وإنما يستخدم في سياقات Contexts مختلفة، فإن استخداماته تلك تؤلف (عائلة) من المعاني.

هنا تكون مكافأة (المعنى) Meaning (بالاستخدام) Use تبعاً لاعتماد المعنى على السياق. فتكون نتيجة ذلك أنه بالنسبة للعديد من التعبيرات لا يتضمن تفسيرها أو شرح معناها اكتشاف شيء واحد لتعبر عنه، وإنما الإظهار أو الإفصاح عن عائلة من المعاني.

الأمر الذي يسمح بإيجاد الرابط الدلالي المشترك بين كافة أصناف الألعاب اللغوية لدى كافة الأنماط اللغوية وقواعد استخدامها. كما أنه الأمر الذي يسمح بنقل التجربة الاجتماعية والعلمية والفنية (سيما في الدراما والأدب) من طريقة حياة إلى طريقة حياة أخرى.

خاتمــة:

إذن فالخلاف النقدي لا يكون قائما على مبدأ إجراء القواعد في الأصل وإنما يكون قائما على كيفية إجراء القواعد وهو الأمر الذي يسمح بقدر كبير من المرونة في إتساع منطق النقد القواعدي ليشمل في داخله كافة ضروب ومذاهب ومدارس النقد على اختلافها من كلاسيكية ورومانسية وبنائية وحتى مع التيارات التي تبدو عبثية أو عدمية مثل الوجودية والتفكيكية وما نحو ذلك. فإن إلغاء مبأ القواعد جملة يعني إلغاء النقد بالكلية هذا إذا نظرنا إلى النقد بكونه علما تقوم بصدده تدريبات ذهنية لضبط وتوجيه إصدار الأحكام.

المراجـع:

1/ راجع:

P.F.Strawson – Individuals, An Essay In Descriptive Metaphysics – Methuen &Co LTD, London, 1969, pp.162-166.

2/ راجع:

Aristotle– The Nichomachian Ethics– Translated by: J.A. K. Thomson, London, penguin, 1955, Book 2, pp. 60-69.

3/ راجع:

Kair Elam – The Semiotics of Theatre and Drama- Methuen, London, 1980, pp.90 – 110.

4/ راجع:

Aristotle – On the Art of Poetry – (Aristotle Horace Longinus – Classical Literary Criticism), translated by: T.S.Dorsh, penguin books, London, 1965, pp.43-45.

5/ راجع:

روجيه جارودي – فكر هيجل – دار الحقيقة, بيروت, ط2 , 1983, ص 7-17.

6/ راجع:

المرجع السابق- ص18-20.

7/ راجع:

المرجع السابق- ص21-26.

8/ راجع:

المرجع السابق- ص27-32.

9/ راجع:

المرجع السابق – ص33-44.

10/ راجع:

المرجع السابق- ص45-51.

11/ راجع:

حسن حنفي – مقدمة في علم الإستغراب – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, لبنان, ط8, 1992, ص50-51.

12/ راجع:

المرجع السابق – ص52-56.

13/ راجع:

المرجع السابق – ص56-59.

14/ راجع:

المرجع السابق ص60-65.

15/ راجع:

Edmund Husserl – The Paris Lectures – Translated by: Peter Koestenboum, pp.12-15.

16/ راجع:

Norwood Russell Hansson – Patterns of discovery – Cambridge University Press, pp.8-14.

17/ راجع:

Thomas Kuhn – The Structre of Scientific Revolutions – Chicago University Press, 1970,pp.4-9.

18/ راجع:

Ibid – pp. 44 -58.

19/ راجع:

Ludwig Wittgenstein – Philosophical Investigations – Macmillan, NewYork, 1972, sec. 23, 40, 49, 51, 85, 96, 243, 244m 256, 279.